

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فرسان بالنهار رهبان بالليل
(8)

الزبير بن العوام
حواري رسول الله
رضي الله عنه وأرضاه



لا يجيء ذكر طلحة إلا ويدرك الزبير معه ..
ولا يجيء ذكر الزبير إلا ويدرك طلحة معه ..

فحين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤاخى بين أصحابه في مكة قبل الهجرة ، آخرى بين طلحة والزبير .

وطالما كان عليه السلام يتحدث عنهما معا.. مثل قوله :
"طلحة والزبير جاراً في الجنة".

وكلاهما يجتمع مع الرسول ☒ في القرابة والنسب.

أما طلحة، فيجتمع في نسبه مع الرسول ☒ في مرة بن كعب.

وأما الزبير، فيلتقي في نسبه مع الرسول ☒ في قصي بن كلاب كما أن أمه صفية عممة الرسول ☒ ..

وكل منهما طلحة والزبير كان أكثر الناس شبها بالآخر في مقادير الحياة..
فالتماثل بينهما كبير، في النشأة، في الشراء، في السخاء، في قوة الدين، في روعة الشجاعة،
وكلاهما من المسلمين المبكرین باسلامهم... .

ومن العشرة الذين بشرهم الرسول ☒ بالجنة. ومن أصحاب الشورى الستة الذين وكل إليهم عمر اختيار الخليفة من بعده.

وحتى مصيرهما كان كامل التماثل.. بل كان مصيرًا واحدا.

ولقد أسلم الزبير، اسلاما مبكرا، اذ كان واحدا من السبعة الأوائل الذين سارعوا الى الاسلام،
وأسهموا في طليعته المباركة في دار الأرقام..

وكان عمره يومئذ خمس عشر سنة .. وهكذا رزق الهدى والنور والخير صبيا ..
ولقد كان فارسا ومقداما منذ صباحه. حتى ان المؤرخين ليذكرون أن أول سيف شهر في
الاسلام كان سيف الزبير .

ففي الأيام الأولى للإسلام، والمسلمون يومئذ قلة يستخفون في دار الأرقام .. سرت اشاعة ذات يوم أن الرسول ☒ قتل .. فما كان من **الزبير** الا أن استل سيفه وامتشقه، وسار في شوارع
مكة، على حداثة سنه كالاعصار ! ..

ذهب أولاً يتبين الخبر، معتزماً أن يعمل سيفه في رقاب قريش كلها حتى يظفر بهم أو يظفروا به..

وفي أعلى مكة لقيه رسول الله ﷺ، فسأله ماذا به...؟ فأنهى إليه الزبير النبأ.. فصلى عليه الرسول ﷺ، ودعا له بالخير، ولسيفه بالغلب.

وعلى الرغم من شرف الزبير في قومه فقد حمل حظه من اضطهاد قريش وعداها. وكان الذي تولى تعذيبه هو عمه.. كان يلده في حصير، ويدخن عليه بالنار كي تزهد أنفاسه، ويناديه وهو تحت وطأة العذاب : "أَكْفَرْ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ، أَدْرَا عَنْكَ الْعَذَابَ". فيجيهه الزبير الذي لم يكن يوم ذاك أكثر من فتى ناشئ، غض العظام.. يجيب عمه في تحد رهباً :

"لا.. والله لا أعود للكفر أبداً..."

ويهاجر الزبير إلى الحبشة، الهجرتين الأولى والثانية، ثم يعود ليشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. لا تفتقده غزوة ولا معركة.

وما أكثر الطعنات التي تلقاها جسده واحتفظ بها بعد اندماج جراحاتها، أوسمة تحكي بطولة الزبير وأمجاده!!!

ولنصح لوحد من الصحابة رأى تلك الأوسمة التي تزدحم على جسده، يحدثنا عنها فيقول : "صحيت الزبير بن العوام في بعض أسفاره ورأيت جسده، فرأيته مجذعاً بالسيوف، وإن في صدره لأمثال العيون الغائرة من الطعن والرمي.

فقلت له: والله لقد شهدت بجسمك ما لم أره بأحد قط.

فقال لي: أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله.."

بعد أن انقلب جيش قريش راجعاً إلى مكة ونبله الرسول ﷺ هو وأبو بكر لتعقب جيش قريش ومطاردته حتى يروا أن المسلمين قوة فلا يفكروا في الرجوع إلى المدينة واستئناف القتال.. وقد أبو بكر والزبير سبعين من المسلمين، وعلى الرغم من أنهم كانوا يتذمرون جيشاً منتصراً فإن البقعة الحرية التي استخدمها الصديق والزبير، جعلت قريشاً تظن أنها أساءت تقدير خسائر المسلمين، وجعلتها تحسب أن هذه الطليعة القوية التي أجاد الزبير مع الصديق ابراز قوتها، وما هي إلا مقدمة لجيش الرسول ﷺ الذي يبدو أنه قادم ليشن مطاردة رهيبة فأغذت قريش سيرها، وأسرعت خطها إلى مكة..!!

وكانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير. يوم أحد قالت عائشة: يا ابن أخي! كان أبواك - يعني: الزبير، وأبا بكر -

من

{ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم الريح }

لما انصرف المشركون من أحد، وأصحاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم خاف أن يرجعوا، فقال : (من ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا أن بنا قوّة؟).

فأنتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا.

قالَ تَعَالَى : { فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ } لَمْ يَلْقَوْا عَدُوًا .
يُومَ الْيَرْموك

كان الزبير جيشاً وحده.. فحين رأى أكثر المقاتلين الذين كان على رأسهم يتقهرون أمام جبال الروم الزاحفة ،

صاحب هو "الله أَكْبَر" .. واخترق تلك الجبال الزاحفة وحده، ضارباً بسيفه .. ثم قفل راجعاً وسط الصفوف الرهيبة ذاتها، وسيف يتوجه في يمينه لا يكتفي بـ لا يكتفي ولا يحبوا !!
يوم الخندق

قالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْخَنْدَقِ :
(مَنْ يَأْتِنَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟) .

فَقَالَ الرَّبِيعُ : أَنَا، فَذَهَبَ عَلَى فَرَسٍ، فَجَاءَ بِخَبَرِهِمْ .
ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ .

فَقَالَ الرَّبِيعُ : أَنَا، فَذَهَبَ .
ثُمَّ الْثَالِثَةَ .

فَقَالَ النَّبِيُّ :

(لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيٌّ الرَّبِيعُ .)
جارِيٌ فِي الْجَنَّةِ

عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
(طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ جَارِيٌ فِي الْجَنَّةِ)

وكان رضي الله عنه شديد الولع بالشهادة، عظيم الغرام بالموت في سبيل الله.
وكان يقول:

"إن طلحة بن عبيد الله يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم ألا نبي بعد محمد...
وانني لأسمى بنين بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون!".

وهكذا سمي ولده، عبدالله بن الزبير تيمناً بالصحابي الشهيد عبدالله بن جحش.
وسما ولده المنذر، تيمناً بالشهيد المنذر بن عمرو.

وسما عروة تيمناً بالشهيد عروة بن عمرو.

وسما حمزة تيمناً بالشهيد الجليل عم الرسول حمزة بن عبدالمطلب.

وسما جعفر، تيمناً بالشهيد الكبير جعفر بن أبي طالب.

وسما مصعباً تيمناً بالشهيد مصعب بن عمير.

وسما خالداً تيمناً بالصحابي الشهيد خالد بن سعيد..

وهكذا راح يختار لأبنائه أسماء الشهداء. راجياً أن يكونوا يوم تأثيرهم آجالهم شهداء.
ولقد قيل في تاريخه :

"انه ماولي اماره فقط، ولا جباية، ولا خراجا ولا شيئا الا الغزو في سبيل الله".

وكانت ميزته كمقاتل ، تتمثل في في اعتماده التام على نفسه، وفي ثقته التامة بها .
فلو كان يشاركه في القتال مائة ألف، لرأيته يقاتل وحده في لمعركة .. وكم مسؤولية القتال

والنصر تقع على كاهله وحده .

وكان فضيلته كمقاتل، تتمثل في الثبات، وقوة الأعصاب..

رأى مشهد خاله حمزة يوم أحد وقد مثل المشركون بجثمانه القتيل في قسوة، فوقف أمامه كالطود ضاغطا على أسنانه، وضاغطا على قبضة سيفه، لا يفكر إلا في ثأر رهيب سرعان ما جاء الوحي ينهى الرسول والمسلمين عن مجرد التفكير فيه !!!

وحين طال حصاربني قريظة دون أن يستسلموا أرسله الرسول ⊗ مع علي ابن أبي طالب ،
فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع علي قوله :

"والله لنذوقن ما ذاق حمزة، أو لنفتتحن عليهم حصنهم.."

ثم ألقى بنفسهما وحيدين داخل الحصن..

وبقية أعصاب مذهلة، أحکما انزال الرعب في أفندة المتحصنين داخله وفتحا أبوابه
للمسلمين...!!

ويوم حنين أبصر مالك بن عوف زعيم هوزان وقاد جيش الشرك في تلك الغزوة .. أبصره بعد هزيمتهم في حنين واقفا وسط فيلق من أصحابه، وبقايا جيشه المنهزم، فاقتصر حشدتهم وحده، وشتت شملهم وحده ، وأزاحهم عن المكمن الذي كانوا يتربصون فيه ببعض زعماء المسلمين، العائدين من المعركة..!!

ولقد كان حظه من حب الرسول ⊗ وتقديره عظيما..

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يباهي به ويقول :

"ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير بن العوام.."

ذلك أنه لم يكن ابن عمته وحسب، ولا زوج أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، بل كان ذلك الوفي القوي، والشجاع الأبيّ، والجoward السخيّ، والبائع نفسه وماليه رب العالمين:

ولقد أجاد حسان بن ثابت وصفه حين قال :

أقام على عهد النبي وهديه حواري____ه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوال____ي ولـيـ الحقـ، والـحقـ أـعـدـلـ
ـهوـ الفـارـسـ المشـهـورـ والـبـطـلـ الـذـيـ يـصـوـلـ، اـذـاـ ماـ كـانـ يـوـمـ مـحـجـلـ
ـلـهـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـرـبـىـ قـرـبـىـ وـمـنـ نـصـرـةـ اـلـاسـلـامـ مـجـدـ موـثـلـ
ـفـكـمـ كـرـبةـ ذـبـ الزـبـيرـ بـسـيفـهـ عـنـ الـمـصـطـفـىـ، وـالـلـهـ يـعـطـيـ وـيـجـزـلـ

وكان رفيع الخصال، عظيم الشمائل.. وكانت شجاعته وسخاؤه كفرسي رهان...!!

فلقد كان يدير تجارة ناجحة، وكان ثراوته عريضا، ولكنه أنفقه في الاسلام حتى مات
مدينا...!!

وكان توكله على الله منطلق جوده، ومنطلق شجاعته وفادئيته..

حتى وهو يجود بروحه، ويوصي ولده عبدالله بقضاء ديونه قال له :

"اذا اعجزك دين، فاستعن بمولاي.."

وسأل عبد الله: أي مولى تعني...؟

فأجابه: "الله، نعم المولى ونعم النصير.."

يقول عبد الله فيما بعد:

"فوالله ما وقعت في كربة من دينه الا قلت: يا مولى الزبير اقضني دينه، فيقضيه".

وفي يوم **الجمل** ، كانت نهاية سيدنا الزبير ومصيره ..

بعد أن رأى الحق نفسي بيديه من القتال، وتبعه نفر من الذين كانوا يريدون للفتنة دوام الاشتعال ، وطعنه القاتل الغادر وهو بين يدي ربه يصلبي ..

وذهب القاتل إلى الامام **علي** يظن أنه يحمل إليه بشرى حين يسمعه نبأ عدوانه على الزبير ،

وحين يضع بين يديه سيفه الذي استله منه، بعد اقتراف جريمته ..

لكن **علي** صاح حين علم أن بالباب قاتل **الزبير** يستاذن، صاح آمرا بطرده قائلا :

"بشر قاتل ابن صفية بالنار.."

وحين أدخلوا عليه سيف **الزبير** ، قبله الامام وأمعن بالبكاء وهو يقول :

"سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله!!!".

أهناك تحيّة نوجهاها للزبير في ختام حديثنا عنه، أجمل وأجزل من كلمات الامام ..؟؟؟؟

سلام على **الزبير** في مماته بعد محياه ..

سلام، ثم سلام ، على حواري رسول الله **ﷺ**.

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفدر

تاريخ النشر : 09/11/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفدر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com